

الرَّسَالَةُ ٩٧

لا تَقْتُلُوهُ!

(Arabic - Don't kill my baby!)

أحبائي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: لا تَقْتُلُوهُ!

ومن إنجيل متى الأصحاح الثاني نقرأ العدد السادس عشر:

"حينئذٍ لما رأى هيرودسُ أنَّ المَجُوسَ سَخَرُوا بِهِ غَضِبَ جَدًّا فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تَحْوِمِهَا مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ المَجُوسِ".^١

لا نَعْلَمُ كَمْ كَانَ عَدَدَ الأَطْفَالِ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ فِي مَدِينَةِ بَيْتِ لَحْمٍ وَالبِلَادِ المُجَاوِرَةِ لَهَا.. ولكن مَا نَعْلَمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ قَتَلَ جَمِيعَ الصَّبِيَّانِ مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ عَسَاهُ بِقَتْلِهِ لَهُمْ يَكُونُ قَدْ قَتَلَ الطِّفْلَ يَسُوعَ!. لأنه قَدْ سَمِعَ مِنَ المَجُوسِ أَنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ. وَلَكِنْ حَدَّثَ أَنَّ مَلَاكَ الرَّبِّ ظَهَرَ لِيُوسُفَ النَّجَّارِ فِي حُلْمٍ قَاتِلًا لَهُ: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَآمَهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لِأَنَّ هِيرُودُسَ مُرْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ!

إِنَّ مَوْلِدَ الرَّبِّ يَسُوعَ كَانَ مَحْفُوفًا بِالأَخْطَارِ الَّتِي لَمْ يَنْجُ مِنْهَا أَطْفَالُ بَيْتِ لَحْمٍ وَالبِلَادِ المُجَاوِرَةِ. وَتَأْخُذُنَا الدَّهْشَةُ حِينَ نَتَأَمَّلُ كَيْفَ أَنَّ مَمْلَكَةَ الظُّلْمَةِ اسْتَعْلَتْ هِيرُودُسَ الْمَلِكَ وَخَطَطَتْ لَهُ.. عَسَاهَا أَنْ تَوَقَّفَ تَدْبِيرَ اللَّهِ لِخَلَاصِ البَشَرِيَّةِ.. فَلَقَدْ نَجَّى الطِّفْلُ يَسُوعَ مِنْ قَتْلِهِ طِفْلًا وَفَشَلَتْ مَخَطَطَاتُ إبْلِيسَ وَقَوَاتِ الظُّلْمَةِ لِأَنَّ ابْنَ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدَ الَّذِي أَخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ جَاءَ لِيَبْدُلَ دَمَهُ عَلَى صَلِيبِ الجُلُجُنَّةِ وَلِيَسَّ بِقَتْلِهِ طِفْلًا.. لِأَنَّ بِنَاءَ عَلَى كِفَارَتِهِ لَا يَهْلِكُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ لِيَسْتَمْتِعُوا بِالمَجْدِ وَبِصَحْبَتِهِمُ الصَّبِيَّانِ الأَبْرِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تَحْوِمِهَا مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ وَقَدْ بَطَشَ بِهِمْ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ وَقَتَلَهُمْ بِلا ذَنْبٍ!^٢

وَمَا حَدَّثَ مِنْذُ أَلْفِي عَامٍ يَحْدُثُ شَبِيهَا لَهُ فِي عَصْرِنَا الحَدِيثِ!. فَكَمْ مِنْ أُمَّهَاتٍ يَقْتُلْنَ أَطْفَالَهُنَّ وَهُنَّ فِي أَرْحَامِهِنَّ. وَقَدْ أَفْنَعْنَهُنَّ إبْلِيسُ أَنْ لِهِنَّ حَقَّ الأَخْتِيَارِ بَيْنَ إِبْقَاءِ الأُجِنَّةِ فِي أَرْحَامِهِنَّ أَوْ لَفْظِهَا مِنَ الأَرْحَامِ!. وَسَوَاءٌ كَانَ قَتْلُ الأَبْرِيَاءِ بِقَانُونِ أَسْذَرَّتِهِ الدَّوْلَةِ أَوْ بِمَحْضِ اخْتِيَارِ الأُمَّهَاتِ. فَمَا زَالَ وَاجِبُنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا نَقِفَ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا إِزَاءَ قَتْلِ الأَبْرِيَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ التَّعْبِيرَ عَنِ أَنْفُسِهِمْ. وَمَنْ يَسْكُتُ عَلَى قَتْلِ هَؤُلَاءِ الأَبْرِيَاءِ هُوَ شَرِيكٌ لِلْقَتْلِ فِي جَرِيمَتِهِمْ. وَكَلِمَةُ اللَّهِ تَحْذَرُنَا بِالقَوْلِ: "لَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ بَلْ بِالْحَرَى وَبِخَوْهَا".. وَيَعْقُوبُ يَقُولُ: "مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلَ فَذَلِكَ خَطِيئَةٌ لَهُ". إِنَّ هَؤُلَاءِ الصِّغَارَ الَّذِينَ هُمْ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا النُّورَ بَعْدَ لَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ أَنْ يَحْرِمَهُمْ نُورَ الحَيَاةِ الَّتِي خُلِقُوا لِيَحْيَوْهَا وَيَسْتَمْتِعُوا بِهَا. فَالْحَيَاةُ مِنْ حَقِّهِمْ وَلَيْسَ المَوْتُ فِي الأَرْحَامِ.. الحَيَاةُ مِنْ حَقِّهِمْ نَظِيرِي أَنَا الكَاتِبُ. وَنَظِيرُكَ أُخِي الفاضلُ. وَنَظِيرُكَ أُخْتِي الفاضلة.^٣

قَرَأْتُ قِصَّةَ مُؤَثَّرَةٍ كَتَبَتْهَا طَبِيبَةٌ صِينِيَّةٌ تَدْعَى يِنْ يُونِجَ فِي مَجَلَّةِ **Reader's Digest** الأَمْرِيكِيَّةِ بِالعَدَدِ الصَّادِرِ فِي شَهْرِ سِبْتَمْبَرِ عَامِ ١٩٩٥ وَكَانَتْ تَعْمَلُ فِي مُسْتَشْفَى بِنُجُوبِ الصِّينِ كَطَبِيبَةٍ مُتَخَصِّصَةٍ فِي الوِلَادَةِ وَأَمْرَاضِ النِّسَاءِ وَكَانَتْ تَبْلُغُ مِنَ العُمُرِ ٢٤ عَامًا وَقَتْلًا.. نَقُولُ أَنَّهَا فِي صَبَاحِ الرَّابِعِ وَالعَشْرِينَ مِنْ دَيْسَمْبَرِ بَعْدَ أَنْ أَنْجَزَتْ عَمَلِيَّتَيْنِ قِيصْرِيَّتَيْنِ وَبَعْدَ عَمَلِيَّاتٍ وَوَلَادَةٍ مُعْسَرَةٍ.. كَلَفَتْهَا الرَّئِيسَةُ المُشْرِفَةُ بِمَسْئُولِيَّةِ العَمَلِ بِاللَّيْلِ. وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ مَسْئُولِيَّةً إِضَافِيَّةً بِالنِّسْبَةِ لَهَا. إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الطَّبِيبَةُ الصِّينِيَّةُ مُتَعَبَةً جَدًّا وَلَمْ تَتَنَاوَلْ طَعَامًا لِمُدَّةِ ثَمَانِي سَاعَاتٍ. وَحِينَ ذَهَبَتْ لِاسْتِرَاحَةِ الأَطْبَاءِ السَّاعَةَ الوَاحِدَةَ صَبَاحًا. كَانَتْ فِي حَاجَةٍ لِالأَكْلِ وَالنَّوْمِ. فَاسْتَرَحَتْ عَلَى الفِرَاشِ. وَتَذَكَّرَتْ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ لَيْلَةَ **Christmas**.. وَأَنَّ عَائِلَتَهَا المَسِيحِيَّةَ مُجْتَمِعَةً تَحْتَفِلُ بِتِلْكَ المُنَاسِبَةِ السَّعِيدَةِ.^٤

^١ إنجيل متى ٢: ١٦ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل يوحنا ٧: ٣٠ & ٨: ٢٠ & ١: ١٣ & ١٦: ٣ ، إنجيل متى ٢٥: ٤١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبي ٢: ٦-٨

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٥: ١١ ، رسالة يعقوب ٤: ١٧

^٤ Reader's Digest [September, 1995]

وحيث بدأ النعاس يُداعبُ جُفونَ الطبيبة. استيقظت على قرعِ بابِ استراحةِ الأطباءِ وكانت الطارفة هي إحدى المُولدات. التي فتحت البابَ وقالت للطبيبة: نحنُ بحاجةٌ إليك الآن!. لأن الأمرَ هامٌ جداً!. فأسرعت الطبيبة وراءها وهي تسمعُ صراخَ مَوْلودٍ جديدٍ.. وحينَ أدركتُ غرفةَ الولادةِ رأيتُ امرأةً في ثيابٍ مهلهلةٍ تجاهدُ بصعوبةٍ كي تجلسَ على سريرها. وهي تصيحُ بأعلى صوتها: لا تقتلوه!. لا تقتلوه!. ترفقوا بابني أرجوكم!. نظرت الطبيبة إلى المُولدة التي كانت تتأهزُ العشرينَ من عمرها.. وهي تمسكُ بابرٍ طولها ثلاثُ بوصاتٍ.. تسحبها من زُجاجةٍ صَبَّغَةِ اليُودِ وثبتتها في حَقنةٍ.. ثم قالت المُولدة للطبيبة: إنَّ عمليَّةَ إجهاضِ تلكِ المرأةِ كانتُ أمراً لا بُدَّ منه.. لقد كانت في شهرها الثامن للحمل ولديها طفلٌ سابقٌ لهذا الطفل المولود تلكَ الليلة.. ومحظورٌ كما تعلمين على المرأة بالصين حسب القوانين الموضوعه من الحكومة المركزية أن يكونَ لمثلها طفلٌ ثانٍ.

إنَّ القانونُ الصادرُ منَ الحكومةِ الصينيَّةِ لتحديدِ النسلِ يمنحُ ذلكَ قطعياً. وبأمرٍ منَ المكتبِ المحليِّ لتخطيطِ الأسرةِ تمَّ القبضُ عليها. وإدخالها بالقوةِ إلى المستشفى لإجراء عمليَّةِ الإجهاضِ لها. ومعَ أنَّه تمَّ حقنُ الأمِّ بحَقنةٍ تساعدُ على الإجهاضِ إلا أنَّ الطفلَ وُلِدَ حياً!. أحست الطبيبة أنَّها المسؤولة الوحيدة. وأنَّ من واجبها التأكدُ منَ عدمِ بقاءِ طفلٍ على قيدِ الحياةِ بعدَ عمليَّاتِ الإجهاضِ. وهذا يعني أنَّ واجبها يُحتمُّ عليها حقنُ هذا الطفلِ الحيِّ بحَقنةٍ تحوي ٢٠ مم من صَبَّغَةِ اليُودِ أو الكحولِ في الجزء اللين من جُمجمةِ رأسِ الطفلِ المولود.. وهذه كفيَّةٌ بأنَّ تقضي على حياته في الحال.. وحينَ قدَّمتُ المُولدة الحَقنةَ إليها تجمَّدت الطبيبة في مكانها. بعدَ ذلكَ ذهبت الطبيبة معَ المُولدة إلى دُورَةِ المياهِ الملحقةِ بقسمِ الولادةِ وهناكِ رأيتُ الطبيبةَ وعاءَ كبيراً للقمامةِ كان مكتوباً عليه (أطفالٌ موتى) وقد ألقوا على غطايه كيساً(بلاستيك) أسوداً مغلقاً تتصاعدُ منه صيحاتٌ!. وبداخله شيءٌ يتحرَّكُ!.

طلبتُ الطبيبةَ منَ المُولدةِ أن تفتحَ الكيسَ. ولدهشتها وجدَّت طفلاً كاملاً يزنُ أربعةَ أرطالٍ ونصفاً. يخبثُ بكفيه ويرفسُ بقميه!. وعلتُ شفتيه زُرقةً من نقصِ الأكسجين. فرفعتُه برفقٍ وتحسَّستُ الجزءَ اللينَ منَ الجُمجمةِ.. كانت تلمسُ جلداً ناعماً دافئاً يخفقُ معَ كلِّ صرخةٍ من صرخاته.. لمستُ الطبيبةَ شفتي الولدِ فحولَ الطفلُ رأسه إليها فاعراها فاه!. ومرَّ بفكرها خاطرٌ يقولُ: أليسَ هذا إنساناً?! وفي الوقتِ نفسهِ سمعتُ صرخاتٍ أمِّ الولدِ. وهي تصيحُ بشدةٍ من حُجرةِ الولادة: يا دكتوراه!. لا تقتليه!. توقفي عن قتلِ ابني!. أرجوكم!. فسقطت الحَقنةُ من يدي الطبيبةِ وتبعثرتُ محتوياتها على الأرض!. سألتُ الطبيبةَ المُولدةَ كي تحملَ الولدَ إلى غرفةِ الولادةِ لإسعافه. وهناكِ عادَ اللونُ الورديُّ إلى شفتيه!. وشيئاً فشيئاً أخذَ الولدُ ينادي. حتى أسلمَ نفسهُ إلى نعاسٍ هادئٍ!. فتركتُه الطبيبةَ. ورجعتُ إلى استراحةِ الأطباءِ مجهزةً خاترةَ القوةِ.

وفي الساعةِ الثامنةِ صباحاً وصلَ مديرُ المستشفى فأخبروه بما حدث!. فاستدعى الطبيبةَ إلى مكتبه وسألها: لماذا ترفضين القيامَ بواجبك?. هل هؤلاء الناسُ أصدقاءٌ لك?. هل حصلتِ منهمُ على مالٍ?. فأجابته: يُمكنك أن تبحثَ الأمرُ وتتأكدَ بعدَ دقائقٍ.. ثمَّ حصرتُ أحدَ كبارِ المسؤولينِ منَ المكتبِ المحليِّ لتنظيمِ الأسرةِ. وقرأ الوثيقةَ الخاصَّةَ بتحديدِ النسلِ. وقال لها: أتعلمين أنَّه غيرُ قانوني لهذا الطفل أن يعيشَ?! فأجابته: ليسَ فينا من له الحقُّ لوَضعَ قرارَ كهذا!. فاستشاط غضباً وقال: إذن أنتِ مُصرَّةٌ على مخالفةِ القانونِ!. لذلكِ من حقي الآنَ القبضُ عليك!. أحستُ الطبيبةَ بدوارٍ وعدمَ القدرةِ على التفكيرِ بعدَ عملِ متواصلٍ لمدةِ أربعٍ وعشرينَ ساعةً وأجابته: لقد انتهتُ ساعاتُ عملي. بعدها سقطتُ على الأرضِ مغشياً عليها.. وحينَ عادتُ إلى وعيها وجدَّت نفسها ملقاةً خارجَ استراحةِ الأطباءِ وكانَ الوقتُ ظهراً.. أسرعتُ تجرئُ إلى حُجرةِ الولادةِ ولمَّ تجدُ الولدَ!. فسألتُ المُولدةَ عنهُ فأجابته: إنَّ الرجلَ الذي جاءَ منَ المكتبِ المحليِّ لتنظيمِ الأسرةِ أمرتُ بأنَّ تحقنه.. فأدركتُ أنَّهم قتلوه!. وبقلبٍ محطَّمٍ غادرتُ المستشفى. لأنَّ كلَّ جهدٍ بذلته. لم يُنقذِ الطفلَ الذي كانَ يُصارعُ كي يعيشَ!.

عزيزي القارئ.. إنها قصةٌ مؤثرةٌ لحقيقةٍ واقعةٍ مؤسفةٍ.. وهي أنَّهم يُعالجونَ اقتصاداًهم بقتلِ أطفالهم!. لا بإيقافِ المصانعِ الحربيَّةِ التي تنتجُ الأسلحةَ المدمرةَ باهظةِ التكاليفِ.. أدعوكِ أختي كي تصليَ معي: أبانا السَّماويُّ.. اغفرْ لنا قساوةَ قلوبنا.. غيرها!. إنكفِ عن ارتكابِ جريمةٍ حسبتهاً حلالاً لحلِّ مشاكلنا. واضرمْ في قلوبنا غيرَةً مقدَّسةً لناخذُ موقفَ الدفاعِ عن هؤلاء الأبرياء الذين لا يملكونَ إمكانيَّةَ الدفاعِ عن أنفسهم.. أتوسلُ إليك في اسمِ يسوعَ فادينا.. واتقين أنَّك تستجيبُ لنا حسبَ وعدك الصادق.. يا مَنْ قلت: مَنْ يَقْبَلُ إليَّ لا أخرجُه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إنَّ أردتَ سماعَ تلكِ الرِّسالةِ أو غيرها ستجدُ ذلكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>